

حوار الحضارات



د. أحمد عبد الرحيم السايغ
القاهرة - جمهورية مصر العربية

على الرغم من تمايز المقاصد والغايات والمثل، فإن تجارب الإنسانية في الوسائل والنظم، والمؤسسات. قد تكون صالحة في أحيان كثيرة للإقتباس - مع التطويع - والتمثل والاستلham .

إن العناصر الخارجية ضرورة حتمية، لاتستغنى عنها أي حضارة مهما سمت وارتفعت، إنها تمتزج، لتكون معها صيغة جوهريّة تختلف من تراث إلى آخر. وهذه العناصر الخارجية تأتي بطريق الإقتباس الإرادي المباشر المقصود والإقتباس والنقل، عملة متداولة بين الشعوب قاطبة، فكل حضارة أبدعت ونقلت وأخذت وأعطت، ولم توجد قط حضارة ولم تنقل، فالنقل ليس وباء وإنما هو غذاء، والاستعارة ليست عاراً وإنما هي فخار .

فالتأثيرات الحضارية والاستعارات الثقافية والأفكار والآراء والنظريات المتبادلة بين الأمم والشعوب إنما هي ظاهرة صحية طبيعية سليمة، لاخطر فيها ولاخوف منها. (1)

والعرب هم وارثو الحضارات القديمة، إذ لم يكونوا قبل الإسلام معزولين عن جيرانهم أصحاب الثقافات العريقة عزلة كاملة. فقد انفردت الصحراء الغربية بين صحاري العالم أجمع بأنها أحيطت منذ القدم بأرقى حضارات العالم .

ففي الشمال ازدهرت حضارة مابين النهرين، وحضارات الإغريق، والكنعانيين، والآراميين، وجزر بحر إيجة .

وفي الغرب ازدهرت حضارة المصريين القدماء، وفي الشرق كانت الحضارة الفارسية، ومن ورائها الحضارات الآسيوية الأخرى، وفي الجنوب كانت حضارة اليمن .

وكانت القوافل العربية دائبة الحركة بين مراكز هذه الحضارات، عند أطراف الصحراء تنقل البضائع والسلع، وكان لابد أن تتحرك المعارف والثقافات مع السلع والبضائع، وأن تختلط هذه الثقافات وتتزاوج في حركة بطيئة ولكنها ثابتة مستمرة. وان يؤدي كل ذلك إلى تصفية الأفكار والمعارف وتقدمها تبعاً لهذا الإختلاط والتزاوج. (2)

في هذا الجو جاء الإسلام. إنه لم ينشر في فراغ، فالأمم التي صادفها أو اتصل بها، في حركة المد الكبيرة، أو تلك التي اعتنقته ودانت له، أمم عرفت حضارات شتى، وثقافات متنوعة، ومرت بتجارب روحية، وخبرات مادية متعددة .

وكان اختلاط العرب بهذه الأمم اختلاط قتال وحروب ومعارك أولاً، ثم اختلال حضارة وثقافة وأفكار بعد ذلك، ومن هنا كان التأثير والتأثر، ومن هنا كان التفاعل والاختصاص، وكان الأخذ والعطاء، وتبادل الأفكار والآراء .

وبذلك فقد عرف العرب حضارة الهند، وحكمة فارس، وفلسفة اليونان، واختلط المسلمون بأقوام تنوعت عقائدهم، وتشعبت آراؤهم، وصادفوا مئات المفكرين والباحثين والمثقفين، واتصلوا بأصناف من الأفراد والجماعات لاتدخل تحت حصر، وشاع التزوج والاصهار وتفاعلت العادات والتقاليد والآراء والأفكار والمذاهب والمواقف والعلاقات. وجاءت وحدة الدين لتعطي هذا التفاعل صيغة فريدة، ونتج عن ذلك كله مزاج فكري واجتماعي وروحي جديد، أعطى الحضارة الإسلامية معناها ومبناها. (3)

وكلما ذهبنا نبحث في حضارات الأمم، وجدنا أن اللقاء والتفاعل الحضاري الذي عرفه التاريخ بين الحضارات العريقة المألوفة لما هو "مشترك" ولما هو "خاص" قد تم وفق أن هناك "ما هو مشترك إنساني عام" وهناك ما هو خاص .

فالتقاء الحضارات - وهو معلم من معالم التاريخ الحضاري للإنسانية. وتفاعل هذه الحضارات عندما تلتقى - هو قدر لا سبيل إلى مغالبتها أو تجنبه. لكنه تم دائماً وأبداً، وفق هذا القانون الحاكم، التمييز بين ما هو مشترك إنساني عام، تفتح له الأبواب والنوافذ، بل ويطلبه العقلاء، ويجدون السعي في تحصيله، وبين ما هو خصوصية حضارية، يدققون - في حذر - قبل استلهامه وتمثله، ويعرضونه على معايير حضارتهم، لفرز ما يقبل منه ويتمثل، من ذلك الذي يرفضونه، لما فيه من تناقض مع هويتهم الحضارية وقيمهم الاعتقادية. (4) ويستطيع الباحث في الحضارات، أن يضرب مثالين على حوار الحضارات والتقاءها في أخذ وعطاء .

المثال الأول : لقاء الحضارة الإسلامية بالحضارة الفارسية، والهندية، واليونانية .

والمثال الثاني: لقاء الحضارة الغربية إبان نهضتها بالحضارة الإسلامية.

أما المثال الأول الذي يقوم على الحضارة الإسلامية وتفاعلها مع الحضارة الفارسية، واليونانية، والهندية، فإن المدرك لأبعاد هذا اللقاء والتفاعل، يلحظ بوضوح أن المسلمين لم يكونوا يومئذ أخلاء من أي تفتح عقلي، إذ كانت نواة التفكير فيهم قد تكونت كما كانت بين أيديهم نظرية كونية شاملة أمدتهم بها القرآن، فكانت بمثابة العمود الفقري لكل تفكير عقلي، وتحرك عملي وعلمي . ولهذا أقبل المسلمون على حضارات الأمم يمتصون بسرعة فائقة ما خلفه الفرس من حكم وأداب وخبرات سياسية، وما خلفه اليونان الإغريق من علوم فلسفية وعقلية، وما كان لدى مختلف الأمم التي التقت مع المسلمين، لقاء مودة، أو لقاء خصام .

لقد قام المسلمون بتحرير هذه العلوم، وتنقيتها من الشوائب، وتطويرها، وتنميتها وصقلها، وإصلاح فاسدها، مسترشدين بالمنهج العلمي العام، الذي رسمه للمسلمين مصدرا التشريع الإسلامي العظيمان : القرآن

والسنة. كل ذلك فيما لم يكن من خصائص الشريعة الإسلامية بيانه، وتحديد أصوله وفروعه، كأصول الاعتقاد، وأحكام العبادات، وأحكام المعاملات، ونظم الحياة الفردية والاجتماعية التي رسم الإسلام للناس طريقها، وأوضح لهم شرائطها المستقيم. (5)

إن الدولة الإسلامية الجديدة التي عملت على نشر الإسلام في الممالك المختلفة، والتقت بحضارات الأمم لم تأخذ من الحضارات إلا لكي تعطى. إنها لم تقبل التراث الفكري اليوناني وغير اليوناني. إلا لكي تهضمه بعقليتها الجديدة، وتتمثله بمنطق تفكير ما وروح عقيدتها، وبكل أصالة تاريخها وخصبه، وترده بعد ذلك أضعافاً مضاعفة.

فقد أقبل المسلمون على علوم اليونان، والهند، وأصحاب الحضارات القديمة، يغترفون منها ما كان في وسعهم أن يغترفوا، لكن تلك العناصر التي التهموها قد تحولت على أيديهم لتكون غذاءً جديداً. (6)

إن العلماء المسلمين وهم يستوعبون نتاج الحضارات القديمة والمذاهب والأفكار، ويستعينون بها في عملية البناء، كان رائدهم في ذلك البحث عن الحقيقة لذاتها و"الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها".

لقد أخذ المسلمون ما أخذوا لأنهم طلاب حقيقة وهذا حسبيهم، إنهم لم يقدموا على النقل والاقتباس للتجمل والزينة، وليباهوا الناس بكثرة الأسماء الكريمة، والأساور والعقود، والخلخيل، بل لبناء النفوس، واستدراك ما فات، واستكمال أسباب الحياة.

لقد كان المسلمون ينظرون في كل شيء، ويبحثون في كل فج، ويستفيدون بكل حديث وقديم، ينقبون عن كل علم، ويسیرون وراء كل حكمة، ويأخذون العبرة من الماضي، وينطلقون للمستقبل يستفيدون من القديم، ويستفيدون من الجديد، وكانت لهم جولات وجولات في كل ناحية من نواحي الحياة، في العلم، وفي الحكمة، وفي الأخلاق، وفي الفلسفة، وفي الطب، وفي الهندسة، وفي

الجغرافيا، وفي الفلك، وفي الصناعة، وفي الكيمياء، وفي الصيدلة، وفي الزراعة، وفي التاريخ، وفي القصص، وفي اللغة، وفي الحيوان، وفي الفيزياء، وفي الأحجار، وفي البحار، والمعادن.⁽⁷⁾

ولم يدخر المسلمون جهداً في البحث عن تراث الأمم السابقة، واضطلع المسلمون رغم ماعانوه من جهد بالتعرف على الثقافة اليونانية القديمة، والفارسية، والهندية، وغيرها من الثقافات التي نما إلى علمهم أنها موجودة في أي صقع أو قطر.⁽⁸⁾

لقد امتصت العقلية الإسلامية الغذاء الذي قدمه ميراث العالم القديم الضخم بعد أن أصبح متوفراً باللغة العربية، فأدى ذلك إلى قيام مدارس الفلسفة، والعلوم، والفنون المختلفة، التي سيطرت على أفق الحضارة الإسلامية نتيجة لتطبيق مبادئ الإسلام على أشكال المعرفة المختلفة، التي ورثها المسلمون عن الشعوب، ذات الحضارات العريقة.⁽⁹⁾

وليس هناك شك في أن الفتح الإسلامي للإمبراطورية الفارسية، ودخول الفرص بمواريتهم الحضارية الغنية - في إطار الدولة الإسلامية، قد أتاح أوسع الفرص لحوار حضاري واسع، وعميق وخلاق بين الحضارة الفارسية وبين الفكر الإسلامي.⁽¹⁰⁾

لكن الراصد لهذا التفاعل بين الفكر الإسلامي، إبان تبلور حضارته، وبين الميراث الفارسي، يستطيع أن يميز بين ما " قُبل " وبين ما " رفض " من هذا الميراث .

لقد فتحت فارس على عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وكذلك فتحت الأودية الزراعية للأنهار الكبرى في الدولة الإسلامية : النيل، وبردى، ودجلة، والفرات، لم يتردد عمر بن الخطاب في تبني النظام الفارسي في ضريبة الأرض الزراعية، والذي كان يسمى " وضائع كسرى " وظل سائداً ومعمولاً به حتى عدل في ظل الدولة العباسية .

فأنت ترى أنه في عهد عمر بن الخطاب، تم استلهاهم خبرة وتجربة حضارية فارسية، في طرق تقدير الضريبة على الأرض الزراعية .

لقد أخذ المسلمون ينشرون الإسلام خارج الجزيرة العربية بين الشعوب التي كانت تنتظر الإسلام ونشأت الحضارة الإسلامية في كنف القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكانت الأمم الداخلة في الإسلام ذات حضارات مزدهرة، فنشأ بين حضاراتها والإسلام مزج وتفاعل ولقاء. وبدأت أعظم مظاهر هذا المزج في النظم الاجتماعية، والآراء العقلية واشترك الدعاة إلى الإسلام مع أهل البلاد التي فتحت صدرها للإسلام في الحركة الاجتماعية والاقتصادية. وبهذا كله امتزجت أمور أخرى كثيرة، وتأثرت بهذا الامتزاج كل مرافق الحياة والنظم السياسية والاجتماعية، والطبائع العقلية، وكانت الأمم المفتوحة للإسلام أرقى من العرب مدنية، ولهذا أسهمت في نشأة الحضارة الإسلامية، وحضارة مصر والشام والشمال الإفريقي، كانت ذات ميراث بيزنطي، استفادت منها حضارة الإسلام في "تدوين الدواوين" وهو خبرة إدارية بيزنطية. (11)

والباحث في الحضارة الهندية سوف يجد أن الهنود أسهموا في جميع العلوم القديمة .

ولا شك أن تفاعلاً حضارياً في مختلف العلوم والفنون، قد أخذ دوره في محيط الحضارة الإسلامية من واقع تأثرات التمازج والمخالطة، فعرف المسلمون من الرياضيات الهندية كتاب "السدهانتا" السند هند. وفي أيام أبو جعفر المنصور، قدم كثير من علماء الهند، وكان معهم "السدهانتا" السند هند باللغة السنسكريتية، وقد كلف أبو جعفر العلامة أبا إسحاق بن حبيب الفزاري بتعريبه، ففعل، وقام الخوارزمي بتصحيحه ومراجعتها، والمسلمون استفادوا من الأرقام عند الهنود، فهدبوها وكونوا منها سلسلتين عرفت إحداهما بالأرقام الهندية، وعرفت الثانية باسم الأرقام الغبارية. (12)

ويكاد يكون معروفاً أنه : ليس في الحضارات القديمة حضارة، تثير الدهشة والإعجاب، كالحضارة اليونانية، لأن هذه الحضارة، جمعت آثار

الحضارات البابلية، والمصرية، والفينيقية، والفارسية، ثم أضافت إليها آثاراً فنية رائعة، ومذاهب فكرية مبتكرة، ومبادئ خلقية سامية، يتجلى فيها الإبداع بأقوى مظاهره .

لاشك أن للعوامل التاريخية، والجغرافية، والاقتصادية، والاجتماعية، تأثيراً في تكوين الحضارات، ولكن هذه الأسباب لا تكفي لتفسير ما تميزت به حضارة اليونان من قوة الإبداع، والإبتكار .

لقد غربل اليونانيون آثار الحضارات القديمة، ومحصولها أعمق تمحيص، فحذفوا منها ما حذفوا واستبقوا منها ما استبقوا، ولكن حضارتهم ليست حصيلة الحضارات السابقة فحسب وإنما هي حضارة متميزة، أطلقت حرية العقل، وجاوزت حدود الزمان والمكان. (13)

ويذكر العلماء : أن الحضارة اليونانية، عرفت باسم الحضارة الهيلينية، نسبة إلى " هيلين " الجد الأكبر الخرافي للشعب اليوناني، وقد انتشرت هذه الحضارة الهيلينية مع امتداد نفوذ الإغراق التجاري الاستعماري، ولما فتح الاسكندر المقدوني الشرق امتزجت الثقافة اليونانية، بروح الشرق، (14) فنشأت حضارة مزيجية عرفت بالهيلينية، وأخصبت عدة مراكز في الشرق، ولما جاء الإسلام وجد في هذه المراكز حضارة يونانية في الاسكندرية وفي أنطاكية وغيرهما. وكان لابد لهذه الحضارة الإغريقية أن تظهر على مسرح الوجود عنواناً على حضارة هذه الأمة الآرية، التي علمت الإنسانية جمعاء، الكثير من أنماط الفكر وسياقاته ... ولكن كان لها النسق الخاص بها، والخاص بها وحدها المتصل ببيئة المجتمع اليوناني ... ولذلك حين قام الإسلام بوضع فلسفته المعبرة عن حضارته كان لابد من اختلاف عنيف ومن جدل قاس وتعارض في المنهج، وفي المادة، بينه وبين الفلسفة اليونانية. (15)

وإن الباحث في انفتاح الغرب على الحضارة الإسلامية، يجد أن هذا الانفتاح قد تحقق من خلال :

1- نقل التراث الإسلامي في صقلية :

ولا يخفى أن المسلمين قضوا في حكم جزيرة صقلية قرابة ثلاثة قرون، وخلال ذلك كانت الحضارة الإسلامية مزدهرة ازدهاراً شديداً انتباه غير المسلمين، فلما استولى الأوروبيون على جزيرة صقلية، استفادوا من الحضارة الإسلامية، واستطاعوا أن ينقلوا إلى لغاتهم تراث المسلمين الحضاري المزدهر في جزيرة صقلية، مما كان له أثر واضح في النهضة الأوروبية الحديثة .

2- نقل التراث الإسلامي في بلاد الأندلس :

إن المسلمين استطاعوا في قوة أن يقيموا حضارة الإسلام في بلاد الأندلس، وأصبحت بلاد الأندلس في ظل الحكم الإسلامي، بلاد الحضارة والعلم، مما جعل علماء أوروبا يذهبون إليها ليتلقوا العلم على يد علمائها، ويترجمون تراثها من العربية إلى اللاتينية .

لقد كانت قرطبة في عهد عبد الرحمن الثاني، مركزاً رائعاً للجمال المادي والنشاط الفكري ... ونما ذلك في عهد عبد الرحمن الثالث. وكان شديد العناية بالعلوم والآداب، وتزايدت هذه النهضة في عهد ابن الحكم الثاني الذي كان إلى جانب علمه يرسل مندوبين إلى جميع بقاع العالم الإسلامي لابتغاء الكتب أو استنساخها ووفق بذلك إلى إنشاء مكتبة تضم أربعمئة ألف كتاب .

وإذا كانت قرطبة، وغرناطة وغيرهما من مدن حضارية قد سقطت في أيدي غير المسلمين فإن العلوم والآداب الإسلامية والحضارة واصلت ازدهارها في ظل النقل والترجمة والابداع .

3- نقل التراث الإسلامي أثناء الحروب الصليبية :

كانت الحروب الصليبية صراعاً بين الكنيسة والشرق الإسلامي، وهدف هذه الحروب تخليص الأراضي المقدسة من المسلمين، وقد استمرت قرنين من الزمان. ومن المؤرخين من يرى أن هذه الحروب هي العامل الوحيد في أوروبا حيث تم نقل الصناعات والفنون الإسلامية .

لقد اختلط الأوروبيون بمن هم أرقى منهم فاستفادوا من الحضارة الإسلامية فساعد هذا على قيام النهضة الأوروبية الحديثة .

إن أوروبا استطاعت أن تتفاعل مع الحضارة الإسلامية وتأخذ عنها وتستفيد منها .

لقد أقبل الغرب بنهم على امتلاك رصيد الحضارة الإسلامية من العلوم الطبيعية، علوم المادة وظواهرها، وخصائصها ... وعلوم التمدن المدني والعلمي، مثل علوم الطب، والصيدلة، وقواعد النظافة العامة والخاصة، وعلوم الزراعة، والنباتات، والحيوان، وفنون وعلوم الحرف والصناعات والتجارة، والمواصلات، ووسائل الاتصال، وفنون القتال، واستخدامات الحرب، وطبقات الأرض وأنواعها، والمعادن، والبصريان، والمناظر، والكيمياء، والفلك، والرياضيات، من جبر وهندسة وحساب، والجغرافيا، والرحلات، وعلوم البحار، والملاحة فيها ... وغير ذلك من علوم وفنون. (16)

لقد أخذ الغرب، ماسبق أن أخذناه نحن، عن أسلافهم اليونان، وغيرهم من الفرس والهنود وما أخذناه من مدرسة الاسكندرية من علوم الصنعة، مضافاً إليه ابداع المسلمين .

وحوار الحضارات ضرورة إنسانية، لا بد منها لقيام الحضارات، وتقدم الإنسان في كل مامن شأنه أن يأخذ بيد الإنسان، ويشيع في المجتمعات الإنسانية السلام والأمن .

أما الانغلاق الحضاري، فهو قاتل للإنسان، والتبعية الحضارية هي الأخرى قاتلة لكل ابداع، ولا بد من حوار الحضارات .

وإذا تأملنا في حال الأمة الإسلامية وجدنا أنها - من وجهة نظرنا - محاصرة بين غربتين : غربة زمان، وغربة مكان .

أما غربة الزمان : فهي بعد الأمة عن ماضي حضاري مشرق، لم تعد تربطه به عوامل الثقافة الفاعلة أو البانية .

وأما غربة المكان : فهي بعد الأمة عن واقع حضاري معاصر، تجهل عنه كل شيء، مما مثل فجوات حضارية كبرى، ليس من السهل على الأمة الإسلامية تجاوزها أو تجاهلها .

ولذلك إذا كان لابد لهذه الأمة، أن تعود إلى التفاعل، وتستفيد من حضارات الإنسانية، ولابد من خروج الأمة الإسلامية، من الإغتراب الزمني والإغتراب المكاني وذلك بالربط بين الواقع وثوابت الحضارة الإسلامية وبين مصادر وعوامل التقدم المعاصر .

وليس هناك من وسيلة للربط غير الدين، والعلم في إطار من حرية الفكر، وسياسة عقلانية للتقدم، وتسامح مستنير،⁽¹⁷⁾ فإن فعلت الأمة ذلك كان ذلك بداية في طريق حضاري .

وإن التقدم البشري في مختلف المراحل والمجالات ليس إلا جسيمة الإبداع الفكري والتعاون والإحتكاك بين المجتمعات .

ولا عيب أن نأخذ من حضارات الأمم ما يفيدنا، ولكن العيب أن نظل عالة على أمم الأرض نأخذ منها ولا نعطي .

ويجدر أن ندرك أن الإنغلاق ليس بالموقف اللائق بالعقلاء، ولا التبعية الحضارية بمفيدة، أو ملائمة لمن يمتلكون خصوصية حضارية إسلامية .

والعزلة الحضارية والجهل صنوان، كلاهما تخلف، وكلاهما حجاب يمنع وصول الضوء وكلاهما عقبة كأداء في طريق التطور والتقدم .

ويكاد يكون مؤكداً أنه لا توجد حضارة قامت بذاتها، واكتفت بذاتها مستغنية عن غيرها وإنما هي نتيجة تطور حضاري دائم وتفاعل بين حضارات أخرى تفاعلت هي بدورها وغيرها من الحضارات في الزمان والمكان .

والنمو الحضاري إنما يعتمد على التجارب الحضارية الأخرى، وكلمة ازدادت فرص الالتقاء والتفاعل بين الحضارات ازدادت فرص الحياة والنمو والاكتساب والتعلم .

والأمة الإسلامية كي تتطلع إلى مستقبل مشرق لابد أن تخوض معركة بناء الذات وتجديدها مسوقة بقيم وأفكار ومواريث لها في وعيها فاعليتها القوية .

الهوامش والمصادر والمراجع

- 1- أنظر د/ محمد عبد الرحمن مرحبا، أصالة الفكر العربي، ص 102، ط : منشورات عويرات 1982، بيروت - فرنسا .
- 2- المصدر السابق، ص 164 .
- 3- المصدر السابق، ص 164 .
- 4- د/ محمد عمارة، الغزو الفكري، وهم أم حقيقة، ص 205 بتصرف، ط : الأزهر 1988 م .
- 5- عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، ص 122، ط : دار القلم، دمشق - بيروت 1440 هـ .
- 6- د/ محمد عبد الرحمن مرحبا، أصالة الفكر العربي، ص 167 .
- 7- أنظر : د/ توفيق الراعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص 389 .
- 8- المصدر السابق، ص 390 .
- 9- أنظر : د/ محمد عبد الرحمن مرحبا، أصالة الفكر العربي، ص 221 .
- 10- د/ محمد عمارة، الغزو الفكري وهم أم حقيقة، ص 206 .
- 11- أنظر : د/ أحمد السايح، أضواء على الحضارة الإسلامية، ص 81، ط : دار اللواء، الرياض، 1401 هـ .
- 12- د/ أحمد السايح، أضواء على الحضارة الإسلامية، ص 94، ط : دار اللواء بالرياض 1401 هـ .
- 13- د/ جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، ط : دار الكتاب اللبناني سنة 1986 م .
- 14- أنظر : أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه، ص 500 .
- 15- د/ علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج 1، ص 102، ط : دار المعارف بمصر 1977 م .
- 16- أنظر : د/ محمد عمارة، الغزو الفكري وهم أم حقيقة، ص 248 .
- 17- د/ محمد قمبر، هدفة العلم في الإسلام، مجلة حولية كلية التربية، عدد رقم : 8 ص 63، سنة 1411 هـ - 1991 م، كلية التربية، جامعة قطر .

الوصل الثقافي بين الجزائر وبلاد شنقيط

أ / محمد بن المحبوب
أنواكشوط - موريتانيا

مثلت بلاد شنقيط (موريتانيا) منذ زمن بعيد نقطة التواصل والربط بين الحواضر المغاربية وبلاد السودان، فكانت قناة العبور والمرور بل جسر التبادل والوصل فأصبحت بذلك ممر القوافل التجارية ومركز التحاور الثقافي، فشكلت صلات وثيقة مع مختلف الحواضر المغاربية، خاصة المراكز الثقافية بالجزائر التي كانت شريان المعارف بأرض شنقيط وقادح التجارب والفنون أيضا.

ولا ننسى التنبيه هنا إلى نقاط التقاطع والتلاقي بين هذين البلدين إذ انطبعت حياتهما بالمطابع العربي الإسلامي واصطبغت بالتفكير الأشعري، والفقه المالكي وتصوف الجنيّد، والصدور عن قراءة الامام نافع إلى غير ذلك من سمات التشابه والتماثل.

فهذه الأمور وغيرها من نقاط التقارب والتلاقي حملت أبناء هذين البلدين على تبادل الخبرات والمعارف. فكانت المؤلفات الجزائرية عماد المقررات الدراسية بأرض شنقيط خاصة في المنطق وعلم الكلام. وأكثر من ذلك فإن الجزائر تمثل محطة تزود ونقطة عبور بالنسبة للمرتحل الشنقيطي الذي كثيرا ما يتلبث بساحتها مجالسا العلماء، محاورا أهل الفضل والحكمة، مقتنيا المراجع والعلوم جالبا الكتب والمخطوطات.

وزيادة على ذلك يمكن أن نلمس نوعا من التشابه في أشكال الخطوط وأنواعها وحتى في مظاهرها المادية أحيانا (التجليد والتغليف) وكذلك الأمر بالنسبة للهجات والذوق الفني والملابس والأزياء مع الإلتفاف في المناهج